هوامش

قرّر النحات العراقي أحمد حسن، أن يمضي وقته مع الصخور، ليعيد تشكيلها من جديد، ويحولها إلى تماثيل نصفية تصوّر ملوك العراق القديم. هنا، دردشة مع الفنان حول تجربته

يهتمّ النحات بوجوه منطقته ذي قار (Getty)

منحوتات ذي قار
ملوك العراق القديم يعودون من جديد

بغداد ـ **محمد الباسم**

في حي صغير بمحافظة ذي قار، جنوبي العراق، يعمل أحمد حسن (36 عاماً) على مشروع لإنعاش المدينة بتماثيل حجرية وطينيّة لملوك حضارات سومر وأكد وبابل، بتمويلٍ ذاتي ومن دون أي دعمٍ خارجي أو حكومي. لم يكمل أحمد حسن دراسته، فقد توقف عند شهادة الثانوية كونه انشغل بالعمل في سبيل توفير حياة له مع أهله. لكن حلم النحت ظلّ يراوده، وكان على قناعة بأن صناعة التماثيل تمكنهُ من جمع أموال كثيرة، إلا أنه يقول لـ«العربي الجديد»، إن «الحقيقة تختلف عن الواقع، لأن الجهات التي من المفترض أن تشتريها لا تهتم لها».

يشير أحمد حسن، الذي يواصل عمله في ورشةٍ داخل بيتٍ في حي «البدعة» التابع لقضاء الشطرة في ذي قار، إلى أن حلم النحت كان لديه منذ أن كان عمره 11 عاماً ولكنه تركه، ثم عاد إليه قبل تسع سنوات معتمداً على القراءة ومطالعة صور التماثيل الأصلية لملوك الحضارات العراقية القديمة. ويلفت إلى أن المشكلة الأساسية التي تواجهه «هي الإدراك الفني بجزيئات المنحوتات، ولا سيما أجزاء جسم الإنسان أو التفاصيل الصغيرة وكيفية نحتها بطريقة احترافية، ولكن أحد الأشخاص، وهو صاحب الفضل الأول في تعليمي وتدريبي على تطوير قدرتي على النحت، وهو محمد خالد الرحال، خصص وقتا طويلا معي في سبيل تعزيز شغفي بالنحت».

ويوضح أنه ترك الدراسة عندما كان صغيراً، إلا أن حب النحت والموهبة التي يمتلكها أجبره على قراءة كتب التاريخ والحضارات العراقية. وعن بداياته يقول: «كان بيت أهلي هو المسرح الأول بالنسبة لي، فقد كنت أجلب الحجارة وأسعى إلى النحت عليها واستخلاص الوجوه منها والأشكال، ولكن حالياً لدي بيت كامل وكبير، أستغله للعمل مع بعض النحاتين الذين تدربوا في الورشة، وصارت لديهم إمكانات جيدة، وزوجتي هي أحد أهم أسباب نجاح أعمالي لأنها بالنسبة لي تعتبر ناقدة فنية من طراز عال، مع كونها غير متخصصة بالنحت». ويردف أن «الأعمال لا تُشترى بكثرة، مع أنها تكلفني الكثير من المال، ولدي أدوات اشتريتها بملايين الدنانير العراقية، وحالياً هناك من يتواصل معي من طلبة الفنون الجميلة لغرض أعمال فنية، وبعض المواطنين الذين يقدرون القيمة الفنية لنسخ التماثيل».

يهدف أحمد حسن إلى «تعريف العراقيين بملوك بلادهم في الحضارات القديمة، إذ لا بد للأجيال الجديدة من أن تعرف عظمة العراق القديم من خلال الأعمال الفنية والمنحوتات، وربط أهالي جنوب العراق بملوك الحضارات القديمة مثل «كلوديا» و«أورنامو»، وأسعى إلى أن يعرف الأطفال قيمة تاريخ بلادهم». ويؤكد أنه يسعى دائماً إلى أن يزوره الأطفال في ورشته من أجل مشاهدة كيف تتم عملية النحت، من حيث اختيار الشخصيات والعمل على تنسيق الأجسام والكيفية التي تتم عبرها طريقة النحت. أهدى أحمد حسن تمثالين لعملاقين إلى متحف الناصرية، حيث عمل على نحت نسختين من تمثالي كلوديا وأورنامو، وقد وضع أحدهما في قضاء الدواية بالناصرية، ولكن ما يستغرب منه النحات العراقي، أنه لم يتلقّ الشكر من قبل المسؤولين بالرغم من أن مبادرته ذاتية، وأن التمثالين يزيدان من جمالية المدينة، وأن أول من حاربه هم الأكاديميون من الفنانين في مدينته، لأنهم يعتبرون أحمد وموهبته، يشكلان خطراً عليهم.

ويشكو حسن من «قلّة الاهتمام الحكومي بالفنان العراقي، ولا سيما أولئك الذين يقدمون محتويات وأشكالا متطورة من الفنون، مع العلم أن غالبية المسؤولين عن ملفات الثقافة والفنون في الحكومة العراقية هم من مدن جنوب البلاد». ويكشف أن «أولى الجهات التي سعت إلى إفشال مشاريعه الفنية، هي الحكومة المحلية في ذي قار، بعد عدم سماحها بوصول أي دعم لورشته من منظمات معنية بتطوير العاملين في مجال المهن اليدوية، لذلك يعتمد حالياً على تطوير منحوتاته الكبيرة عبر تمويل ذاتي منه». ويذكر أن «مكتب وزير الثقافة الحالي اتصل بي، وتحدثنا عن إبلاغ الوزارة بما أحتاج إليه، ولكنهم لم يعرضوا المساعدة أو تقديم أي تسهيلات، كما أن الوزارة لم تسع نهائياً إلى استقبالي كوني فنانا يقدم أعماله هدايا للمدن الجنوبية، وهذا التقصير يزعجني كثيراً».

باختصار

عاد إلى النحت قبل تسع سنوات معتمداً على القراءة ومطالعة صورة التماثيل الأصلية لملوك الحضارات العراقية القديمة

■■■

المشكلة الأساسية التي تواجهه هي الإدراك الفني بجزيئات المنحوتات، ولا سيما أجزاء جسم الإنسان أو التفاصيل الصغيرة وكيفية نحتها بطريقة احترافية

■■■

أهدى أحمد حسن تمثالين عملاقين إلى متحف الناصرية، حيث عمل على نحت نسختين من تمثالي كلوديا وأورنامو

وأخيراً

فيروز أيضاً وأيضاً

معن البياري

لمّا سُئل الرئيس الفرنسي، ماكرون، عمَّ طلبته منه فيروز، في لقائهما في منزلها، أجاب بأنه يترك لها التحدّث عن ذلك إذا أرادت. ولكن من يتذكّر آخر مرّةٍ سُمعت فيها فيروز تتحدّث؟ إنها تشتهر، إلى صوتها الموصوف عن حقّ ملائكيا، بأنها لا تتكلم للناس، شحيحة الحضور أمامهم، صموتة. انكتب أن لقاء الساعة وربع الساعة، مساء الإثنين الماضي، تم تسجيله بالفيديو، صوتا وصورة. إذا صح هذا، فإن بث هذا الشريط، بعد حين بعيد أو قريب، سيكون حدثا بالغ الاستثنائية، لأن مشاهديه سيسمعون فيروز تتكلم، ولا تغني أو تترنم. انكتب أيضا أنه إلى السفير الفرنسي في بيروت، وريما الرحباني، ابنة المغنية، حضر اللقاء الذي حيل بينه وبين وسائل الإعلام (ومنها الفرنسية المرافقة للرئيس) محامي فيروز الخاص، واسمه فوزي مطران. إذا صح هذا، ما الذي يعنيه وجود هذا الرجل، بحيثيته هذه، اللقاء الذي حفت به، قبل انعقاده وفي أثنائه وبعده، تفاصيل أشبه بطقوس طوطمية وكهنوتية. وربما يستحق الرئيس ماكرون شكرا غزيرا، لأنه «سرّب» للصحافة إنه شعر بالرهبة، وهو يرى جمال فيروز، والسحر الذي تتمتع به، و«هذا الوضوح السياسي والوعي السياسي لديها». لقد زاد الرئيس الحال كله التباسا، ما هو بالضبط هذا الوعي السياسي لدى فيروز؟ ينطرح السؤال، وفي البال ما هو صحيح عن الفنانة العظيمة، أن محبّتها توحّد اللبنانيين، وأنها أيقونتهم. عجبا! هل كانت الترجمة دقيقة لكلام ماكرون عن«وضوح» سياسي لدى فيروز. متى كانت «جارة القمر» واضحة؟ وسياسيا؟ كان نجلها، زياد الرحباني، رديئا لما قال، في العام 2012، إنها تحب حسن نصر الله. تبهدل كثيرا على كلامه، في لبنان وخارجه، ثم ذاع إن والدته قاطعته، قبل أن يعلن على شاشة تلفزيون المنار (!)، في صيف العام 2018، إنهما تصالحا.

إنْ كان ماكرون يحترم «السر» الذي تحيط به فيروز نفسها، كيف لنا أن نعرف ما نريد أن نعرف عنها. صدقت الصحافية اللبنانية، باسكال صوما، في سؤالها عم يجعل فيروز لا تطل على اللبنانيين، وتقول لهم شيئا، في أي من الوقائع والمصائب التي تتوالى عليهم، ولماذا لا ترد على فضولهم. وسؤالها: لماذا تعبس فيروز في وجوهنا، وتبتسم لماكرون؟ فعلا، لماذا تفرط «بنت الحارس» في مجافاة الناس، وهي التي غنّت أحلامهم؟ لا أحد يجادل في حقها في العزلة التي أرادت واختارت. ولكن تجوز الأسئلة عن هذا كله. أطلت قبل أسابيع في ترنيمة مصورة من أجل الإنسانية في مواجهة كورونا. كان عظيما منها هذا، غير أن اللبنانيين يعوزهم أن تهبط أيقونتهم درجة أو اثنتين من عليائها، وتخاطبهم بشيء عن أي شيء، سيما وأنهم فيما يفتقدون حسّا بالمسؤولية لدى السياسيين الحاكمين في بلدهم، وقرارات تسعفهم في أحوال يغالبونها صارت شديدة البؤس كثيرا، يحتاجون إلى دفء فيروزيٍّ ما، تربيتةُ تحنانٍ من المغنية الثمانينية سفيرتهم إلى النجوم. للبنانيين أن يسألوا، أن يتبرّموا، أن يفضفضوا، وفي أثناء هذا كله أن يحبوا فيروز، أن يفتخروا بها، بل وأن يشعروا بالمجد كله لأنهم وإياها من شعب واحد، كما جهر، مرة، الشاعر أنسي الحاج.

تُرى، هل كان «وضوحا» من فيروز، لمّا اعتذرت، في دمشق، عن تسلم وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى من بشّار الأسد، العام 2008؟ لا أدري. ولكن قيل، والله أعلم، إنها أبلغت من أبلغوها نية المذكور تكريمَها بالوسام إنها لم ولن تقبل أي وسام من أي زعيم عربي. أظنها لم تقل هذا بالضبط، ربما أخطرتهم إنها لم تعد تقبل أي وسام من أي من هؤلاء، لأنها قبلت أوسمة غير قليلة، أحدها من حافظ الأسد قبل أزيد من أربعة عقود. من زين العابدين وسلفه الحبيب بورقيبة الذي حرمه الأخوان رحباني من حفلة طلبها لفيروز، في زيارته بيروت قبل 55 عاما، لما ألغياها بعدما استبدلت السلطات المسرح المقرر لها. كرمها بوسام النهضة الملك الحسين الذي محضها تقديرا عاليا غير مرة، لكنها اعتذرت عن تلبية دعوة منه لحضور حفل لعيد ميلاده. وتبرم مرة من عدم قبولها تصوير التلفزيون الأردني حفلة لها في عمان، وكان الملك يرغب بسماعها على الهواء مباشرة..

اكترثنا بلوحة فنانة كرواتية لبنانية، في دارة فيروز، ظهرت في ثلاث صور للقاء بين المغنية والرئيس الذي استقبلته بالباب ابنتها. واستغرق عارف مختص بالأيقونات البيزنطية في المنزل. أما الذي حكته «بنت الحارس» لرئيس فرنسا فلا يجوز أن ندري به، أقله الآن .. وبعد الآن، ثمّة كثير في لبنان سيجري، وربما تفعلها فيروز وتفاجئ لأهله شيئا ما عنهم وعنها.

> إنْ كان ماكرون يحترم «السر» الذي تحيط به فيروز نفسها، كيف لنا أن نعرف ما نريد أن نعرف عنها؟

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**